﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: 169 - 171]

❁ مُناسَبَةُ الآيَاتِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبة بين أهوال يوم أحد، وما أعدّ الله للشّهداء عنده من نعيم وكرامة

لَمّا بَيّنَ اللّهُ سبحانَهُ وتَعالَى أنَّ ما جَرَى على المؤمنِيَن يومَ أُحدٍ، كانَ امْتحانًا، ليتَميّزَ المؤمِنُ مِنَ المنافِقِ، والكاذِبُ مِنَ الصّادِقِ؛ بيّنَ هَهُنا أنَّ مَن لم يَنهزِمْ وقُتِلَ؛ فلَهُ هذه الكَرامةُ والنِّعمةُ، وأنّ مِثْلَ هذا ممّا يَتنافَسُ فيهِ المتنافِسونَ، لا ممّا يُخافُ ويُحذَرُ، كما قالَ مَنْ حَكَى اللّهُ عنهُم: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ وقالُوا: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾؛ فجاءَ قولُه تَعالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ اسْتئنافاً لِبيانِ هذا المعْنَى الجَليل، وإظهاراً لِتلكُمُ القِيَمِ الرَّبانيّة، الّتي نَطَقتْ بها تِلْكُمُ الآياتُ القُرآنيّة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: حَسِبَه كذا، كَنَعِمَ في لُغَتِه؛ أيْ: (بفتْحِ العَيْن وكَسرِها)، والكَسرُ أَجْودُ اللُّغتيْن، مَحْسَبَةً، ومَحْسِبةً، وحِسْبانًا؛ بالكَسرِ: ظنَّهُ، وما كانَ في حِسْباني (كذا)، ولا تقُلْ: في حِسابي[2]، وقال الفرّاء: حسبت الشّيء: ظننته أحسَبه وأحسِبه، والكسر أجود اللّغتين، وقرئ قول اللّه تعالى: (وَلَا تَحْسِبَنَّ)، وليس في باب السّالم حرف على فعل يفعِلُ بكسر العين في الماضي والغابر، غير حسِب يحْسِبُ، ونعِم ينعِمُ[3].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/598، والشّوكاني، فتح القدير: 1/647.
(2) الرّازي، مختار الصّحاح، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (حسب).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (حسب).

2) ﴿أَحْيَآءٌ﴾: أيْ: أَحياءٌ حَياةً مُحقّقةً، يتَنعَّمونَ[1]؛ وقدْ ورَدَت السُّنّةُ المطهَّرةُ بأنَّ أرواحَهُمْ في أجْوافِ طُيورٍ خُضْر، وأنّهمْ في الجنَّة يُرزَقونَ ويَأكُلونَ ويَتمتَّعون[2]، وقيلَ: "لأنَّ الشّهيدَ لا يَبْلَى في القَبْرِ، ولا تأكُلُهُ الأرْضُ"[3].

3) ﴿فَرِحِينَ﴾: الفَرحُ: السُّرورُ؛ وهو ضدّ الحزن، "ويقال: فرح يفرح فرحا، فهو فرح وفرحان وفارح من قوم فراحى وفرحين، والفرحة: المسرّة، ومن أمثالهم: التّرحة تعقب الفرحة، والرّجل المفرح: المثقل بالدّين، أفرح الرّجل يفرح إفراحا فهو مفرح،.. وأفرحني الشّيء مثل فدحني، فإن كانت هذه مستعملة فهي من الأضداد"[4]، والمعنى في الآية، أيْ: مسرُورينَ بما ساقَهُ اللّهُ إليهِم مِنَ الكَرامةِ بالشَّهادةِ، وما صارُوا إليهِ مِنْ رزقِ اللّهِ سُبحانَهُ وتَعالَى[5]،

4) ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: أصلُهُ مِنَ البَشَرة؛ لأنَّ الإنسانَ إذا فَرحَ ظَهرَ أثَرُ السُّرورِ في بَشَرةِ وجهِه[6]، ويقال: اسْتَبْشَرَ" فلان بالخير: إذا أيقن به، قال اللّه تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾، وتَبَاشَرَ القوم: بشَّر بعضهم بعضًا"[7]،

5) ﴿يَلْحَقُواْ﴾: لحِق به: أدركه في زمان أو مكان.. قال تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾، ويقال: (عاد يَلْحق باللّطيف الخبير): كناية عن الشّيخوخة، كما يقال: (لا يُلْحق غُبارُه): فهو سابق، متقدِّم على غيره[8]، والمعنى في الآية، أيْ: مِنْ إخوانِهِمُ المجاهِدين، الَّذينَ لم يُقْتَلُوا إذْ ذاكَ، ولم يَنالُوا الشَّهادةَ بَعْدُ.

6) ﴿وَفَضْلٍ﴾: أيْ: بُكُلِّ ما يُنعِمُ اللّهُ بهِ على عبادِهِ؛ ومِنْها: الثَّوابُ، والجَنَّةُ. والفَضْلُ: الزِّيادةُ في كُلِّ خَيرٍ ونِعْمةٍ[9]، ويُمكِنُ أنْ يُضَمَّ إليهِ الاسْتبشارُ بسلامَةِ الَّذينَ لم يَلْحَقُوا

(1) البغويّ، معالم التّنزيل: 2/34، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 4/172.
(2) قال ﷺ: "إنّ أرواح الشُّهداء في أجوافَ طَيرٍ خُضْر تَسْرح في الجَنّة، تأكلُ من ثمار الجَنّة، وتشربُ من ألبانِها، وتأْوي باللّيل إلى قناديلَ من نورٍ مُعلَّقةٍ بالعَرْش"، أخرجه مسلمُ عن عبد الله بن مسعود ﷺ، حديث رقم: (1887).
(3) ابن حجر، فتح الباري: 3/279، والبغويّ، معالم التّنزيل: 2/134.
(4) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (فرح).
(5) الرّازي، مختار الصّحاح: (فَرِحَ)، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 4/176.
(6) الواحديّ، الوسيط: 1/521، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (بَشَرَ).
(7) نشوان الحِميري، شمس العلوم: (اسْتَبْشَرَ).
(8) أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (فَرِحَ).
(9) الشّوكانّي، فتح القدير: 1/648.

بهم[1]، وفي الحديث عن النّبيّ ﷺ: "لا تبيعوا الذّهب بالذّهب إلّا مثلًا بمثل، ولا الفضّة بالفضّة إلا مثلًا بمثل؛ والفضل ربا"[2]، وفي حديث آخر: "نهى عن بيع فضل الماء"[3].

7) ﴿لَا يُضِيعُ﴾: يُفسِّرُه قَوْلُ اللّهِ تَعالَى: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ [هود: 109]، وقولُهُ سُبحانَه: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطُّور: 21]، والمعنى في الآية: "كما أنّه تعالى لا يضيع أجر المجاهدين والشّهداء، كذلك لا يضيع أجر المؤمنين"[4].

❁ المَعْنَى الإجْمَاليُّ:

يُخاطِبُ اللّهُ ﷻ رسولَه ﷺ وكُلَّ النّاس، أن لا يَظُنَّنَّ ظَانٌّ مِنهُم، أو يَخطُرَنَّ بِبالِهِ مجرَّدُ خاطِر، أنّ الّذين قُتِلوا في جهادِ أعداءِ الدِّين، قاصِدِينَ بذلكَ إعلاءَ كَلمةِ اللّه، فَقدُوا حيَاتَهم الدُّنْيا، ولَذَّتَها، والتَّمتُّعَ بزهْرَتِها، بَلْ قدْ حَصَلَ لهم أعظمُ ممّا يَتنافسُ فيه المتَنافِسون، فَهم أحياءٌ في دارِ كرامةِ اللّه، يُغْدَقُ عليهِم مِنْ أنواعِ النَّعيم ولَذائِذِه، مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَر. ويُبشِّرُ بعضُهُمْ بَعضًا، بِوُصولِ إخوانِهمُ الَّذينَ لم يلحَقُوا بِهِم، وأنّهم سَينالُونَ ما نَالُوا، ويُهنِّئُونَ بعضَهم بأعْظَمَ مُهَنّأٍ به؛ وهو نعمَةُ ربِّهم وفضْلِهِ وإحْسانِه، واللّهُ سُبحانهُ وتعالَى يُنمِّي أجرَهم، ويَزيدُهم مِنْ فَضلِه، ممَّا لا يَصلُ إليهِ سَعيُهم، وفي ذلك كُلِّه: إثْباتُ نَعيمِ البَرْزَخِ، وأنّ الشُّهداءَ في أَعْلى مكانٍ عندَ ربّهم، وفيه تَلاقِي أَرواحِ أهلِ الخَيْر، وزِيارةِ بعضِهم بَعضًا[5].

الشّهادة في سبيل الله، ليست موتًا ولا فوتًا، ولكنّها حياةٌ أبقى، ونعيمٌ أرقى

(1) العكبريّ، التبيان. 1/157:
(2) البخاري، الحديث رقم: (2175)، ومسلم، الحديث رقم: (1584).
(3) مسلم، الحديث رقم: (1565).
(4) الخازن، لباب التّأويل: 1/320.
(5) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 4/176 - 177، والسّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 117 - 118.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دِلَالَةُ الْخِطَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢا﴾:

هَـوَانُ الْمُنَافِقِينَ عَلَى اللهِ تَعَالَى

أَعْرَضَ بيانُ اللّٰهِ تعالى عن خِطابِ أولئكَ المنافقين لِقلّةِ أهليَّتِهم، وعَدَمِ أهميَّتِهم، وأَقبلَ على خطابِ مَنْ يَستَأهِلُ المعرفةَ؛ فقالَ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢا﴾، وفي هذا إبطالٌ لِمَا تلهَّفَ مِنْهُ المنافقُونَ على إضاعةِ قَتْلاهُم.

وقولُه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ معطوفٌ على ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾، والحسْبانُ: الظّنُّ، فهو نَهيٌ عنْ أنْ يُظنَّ أنّهم أمواتٌ، وبالأَحْرَى يكونُ نهيًا عنِ الجزْمِ بأنّهم أمواتٌ[1].

والنّونُ في ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ نُونُ التَّوكيدِ الثَّقيلةُ، وهي دالَّةٌ على تأكيدِ النَّهْيِ.

والخطابُ في ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ يجوزُ أن يكون للنّبيِّ ﷺ تعليمًا له، ولِيُعَلِّم المسلمينَ تبعًا، ويجوزُ أنْ يكونَ خارجًا عن أصلِهِ في إرادةِ المعيَّنِ؛ قصدًا لإرادةِ العمُومِ[2].

تَوْجِيهُ الْقِرَاءَاتِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُتِلُواْ﴾ و(قُتِّلُوا):

كَـثْرَةُ الشُّهَدَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ

الفعل ﴿قُتِلُواْ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢا﴾؛ قُرِئَ بِتَخْفِيفِ التّاءِ، وقُرِئَ بتشديدِهَا (قُتِّلُوا)؛ أيْ: قُتِّلُوا قتلًا كثيرًا، وهو لبيانِ كَثرةِ المَقْتُولِينَ[3].

دِلَالَةُ الطِّبَاقِ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢا بَلْ أَحْيَآءٌ﴾:

عَـظَـمَـةُ حَـيَـاةِ الـشُّـهَـدَاءِ وَكَمَالُهَا

بينَ: ﴿أَمْوَٰتَۢا﴾ و﴿أَحْيَآءٌ﴾ مِن قَوْلِ اللّٰه تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢا بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ طِباقُ إيجابٍ، وفيه إيماءٌ إلى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/165.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/165.
(3) قراءة التّشديد لابن عامر، وقراءة التّخفيف للجمهور، ينظر: محمد كريّم راجح، القراءات العشر المتواترة، ص: 72.

كمالِ حياتِهم؛ إذْ إنَّ قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ﴾ يُنبئُ عن حياتِهم، فلمَّا لم يُكْتَفَ بالمفهومِ حتَّى صُرِّحَ به في قوله: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾؛ عُلِمَ بذلكَ كمالُ حياتِهم وعِظَمُهَا.

وَرُفِعَ ﴿أَحْيَآءٌ﴾ على أنَّه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، يقْتَضِي اسميَّةَ هذه الجملةِ، وفي التَّعبير بِهَا دِلالةٌ على ديمومةِ هذه الحياةِ الكاملَةِ[1].

وَ ﴿بَلْ﴾ للإضرابِ عن قولِه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾؛ فلذلكَ وقعَ ما بعدَها جُملة غَير مُفرَدٍ؛ لأنّها أَضْربتْ عن حُكمِ الجُملة، ولم تُضربْ عن مُفردٍ مِنْهَا؛ فالوَجهُ في الجملةِ الّتي بعدَها أنْ تكونَ اسْميَّةً مِنَ المبتدأِ المحذُوفِ والخبرِ الظّاهرِ.

وقد أثبتَ القرآنُ للمُجاهدينَ مَوْتًا ظاهِرًا بقولِه: ﴿قُتِلُواْ﴾، ونَفَى عنهمُ الموتَ الحقيقيَّ، بقولِه: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، فعلمنا أنّهم وإنْ كانوا أمواتَ الأجسامِ، فَهُم أحياءُ الأرواحِ، حياةً زائدةً على حقيقةِ بقاءِ الأَرْواحِ.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالِاسْمِ الْأَحْسَنِ (الرَّبّ) وَإِضَافَتِهِ إِلَى الضَّمِيرِ الْعَائِدِ عَلَى الشُّهَدَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾:

إِكْرَامُ اللهِ تَعَالَى لِلشُّهَدَاءِ وَتَمَامُ جُودِهِ وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ

الظَّرفُ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ من قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ متعلّقٌ بقولِه: ﴿أَحْيَآءٌ﴾.

ويجوزُ أنْ يَكُونَ متعلِّقًا بقولِه: ﴿يُرْزَقُونَ﴾؛ ويكون قولُه: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ظرفًا مقدَّمًا، وإنَّما قُدِّمَ للاهتمامِ بِهَذا الرِّزقِ، وما بَلَغوهُ مِنَ التَّقرُّبِ والزُّلْفَى إلى اللهِ تعالَى.

وَذِكرُ الاسم الأحسن (الرَّبّ) في قولِه: ﴿رَبِّهِمْ﴾، تَعرُّضٌ لعنوانِ الرُّبوبيّةِ المُنْبِئَةِ عنِ التّربية، والتّبليغِ إلى الكمال[2].

وفي إضافة اسم الرَّبِّ إلى الضَّميرِ الرَّاجعِ على الشُّهداءِ تعظيمٌ لهم وتفخيمٌ لشأنِهم وزيادةُ كَرَامَةٍ.

(1) صافي، الجدول: 4/371.

(2) البقاعي، نظم الدّرر: 5/121.

وقولُهُ ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: يَقتَضِي التَّنعُّمَ بالأكلِ والشُّرب، والتَّمتُّعَ باللَّذائذ، الّتي تَدُلُّ على أنَّهمْ أحياءٌ حياةً حقيقيَّةً، وزِيدَ في بيانِ هذا المعْنَى بقولِهِ: ﴿يُرْزَقُونَ﴾[1].

وقولُهُ ﴿فَرِحِينَ﴾: حالٌ مِنْ ضميرِ ﴿يُرْزَقُونَ﴾، وفيه تأكيدُ إكرامِهم بهذا الرِّزقِ العظيمِ مِنَ اللهِ سُبحانَهُ وتَعالَى[2]، و﴿فَرِحِينَ﴾: جمعُ فَرِحٍ، وهو صفةٌ مُشبّهةٌ، مُشتقّةٌ مِنْ فَرِحَ يَفرَحُ[3]، وهو دالٌّ على ثُبُوتِ الفرَحِ لهم ولُزُومِه واستمرارِهم عليه.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالِاسْمِ الْمَوْصُولِ (مَا) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾:

مَا يُؤْتِيهِ الْعَظِيمُ عَظِيمٌ

(مَا) في قَوْلِه تَعَالَى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ اسمٌ موصولٌ، وفي التَّعبير بِهِ إيماءٌ إلى تفخيمِ الذي أُوتُوه من النَّعيم؛ إذْ إنَّ في الاسْمِ المَوْصُولِ إبهامًا يُرشِّحُهُ لهذه الدِّلالَةِ.

وقوَّى دِلالةَ التَّعظيمِ إسنادُ الإتيانِ إلى الاسْمِ الأحسَنِ (اللهِ) الجامعِ لصفاتِ الجلالِ والجمالِ والكمالِ، وما يُؤْتِيهِ العظيمُ عظيمٌ.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ (يَسْتَبْشِرُونَ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾:

تَجَدُّدُ الخَيْرَاتِ وَالْبِشَارَاتِ لِلشُّهَدَاءِ

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾: يُسَرُّونَ بالبشارةِ، والواوُ حاليَّةٌ، أي: وهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ، والاسْتبشارُ: حصولُ البِشارةِ، فالسِّينُ والتّاءُ فيه، كَما هما في قولِه تعالَى: ﴿وَٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ [التّغابن: 6].

ويجوزُ أن تكون الواوُ عاطفةً؛ عَطفَتْ جُملةَ ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ على

(1) وهو قولُ الجمهور، وذهبَ جَمْعٌ إلى أنَّها حياةٌ مجازيّةٌ، ولا مُوجِبَ للمصير إلى المجاز، خاصّةً أنّ في الصّحيح من السّنة المطهّرة ما يقوّي الحقيقة، ينظر: السَّمين، الدّر المصون: 3/484، وابن عادل، اللُّباب: 6/50.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/166.

(3) صافي، الجدول: 4/374.

كلمةِ ﴿فَرِحِينَ﴾[1]، وإنَّما جاز العطفُ؛ لأنّ الصّفة المشتّقة تشبهُ المضَارِعَ، إذْ قوله: ﴿فَرِحِينَ﴾ بمنزلةِ (يَفْرَحُونَ).

وفي التَّعبير عن الاِسْتِبْشَارِ بالفعل المضارِعِ إيماءٌ إلى تجدُّدِ النِّعَمِ والملذَّاتِ التي تُدْخِلُ عليهم السُّرورَ.

وقدْ جَمعَ اللّه لهم بيْنَ المَسرَّةِ بأنفُسِهم، والمسَرَّةِ بمَنْ بقيَ مِنْ إخوانِهم؛ لأنّ في بقائِهم نِكايةً لِأعدائِهم، وهم معَ حُصولِ فَضلِ الشَّهادةِ لهم على أيْدِي الأعداء، يَتمنَّوْنَ هلاكَ أعدائِهم؛ لأنَّ في هلاكِهم تحقيقَ أُمنيةٍ أُخْرى لهم، هي أمنيةُ نَصرِ الدِّين.

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالِاسْمِ الْمَوْصُولِ وَصِلَتِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾:

جاء التَّعبير في قوله تعالى: (بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ) دون (يستبشرون بإخوانهم)؛ لِمَا فيه من المبالغَةِ في مدحِ الذين من خلفِهِمْ، وأنَّ لهم رغبة في الاستشهاد في سبيل اللّه تعالى وأنَّهم سالكونَ طريقَ ذلك، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ مآلَهُمْ كمآل الشُّهداءِ وإن لم يكن قتلهم في ساحة الجهادِ، ويقوِّيه قول النبي ﷺ: "مَنْ سَأَلَ اللّه الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللّه مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ"[2]، ولا أدلَّ على صِدْقِ طلَبِهم من مباشَرَتِهم الجهادَ في سبيل اللّه تعالى ونصرةً لدينِهِ وشرعِهِ.

مَنْ صَدَقَ فِي طَلَبِ الشَّهَادَةِ بَلَّغَهُ اللهُ تَعَالَى مَنْزِلَتَهَا

وقولُهُ: ﴿مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾: تمثيلٌ يُرادُ به: مِنْ بَعدِهم، والتَّقديرُ: ويسْتَبْشِرونَ بالّذينَ لم يَصيرُوا إلى الدّارِ الآخرةِ مِنْ رفاقِهم، بأَمْنِهم وانْتفاءِ ما يُحزِنُهم.

(1) العكبري، التبيان: 1/157.
(2) مسلم، الحديث رقم: (1909).

سَبَبُ فَصْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ:

الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ بَاعِثَةٌ عَلَى الِاسْتِبْشَارِ

فُصِلَ قولُهُ سُبحانَهُ: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عمَّا قبلَهُ؛ لما بينَهُما من كمالِ الاتِّصالِ؛ إذْ قولُهُ: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بدلُ اشْتمالٍ مُبيِّنٌ لِكَونِ اسْتبشارِهم بحالِ إخوانِهم لا بذواتِهم[1].

ويَجُوزُ أَن يَكُونَ الفصلُ لأنَّه استئنافٌ بيانيٌّ؛ وذلك أنَّ قولَ اللّٰهِ تعَالَى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ يبعث في نفس المتلقِّي سؤالًا، وهو: ما وجهُ اسْتِبْشَارِهم بِهِمْ؟ فجاء الجواب: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾.

والمعنَى المُرادُ مِنْ عدمِ الخَوْفِ والحُزْنِ بيانُ دوامِ انْتفائِهما، لا بيانُ انْتفاءِ دَوامِهما، كمَا يُمكِنُ أنْ يُوهمَهُ كونُ الخَبَرِ في الجُملةِ الثّانيةِ مُضارِعًا؛ وهو ﴿يَحْزَنُونَ﴾؛ فإنّ النّفيَ وإنْ دَخَلَ على نَفْسِ المضارعِ يُفيدُ الدّوامَ والاسْتمرارَ بحسب المقَامِ[2].

و(أنْ) في ﴿أَلَّا﴾ هي المُخَففّةُ من (أنَّ)، واسْمُها ضميرُ الشَّأْنِ محذوفًا، وخبرُها الجُملةُ المَنفيّةُ؛ أيْ: يسْتَبشِرون بما تبيّنَ لهم مِنْ حُسنِ حالِ إخوانِهُمُ الّذينَ تركوهُم، وهو أنّهم عندَ قتْلِهم يَفوزونَ بحياةٍ أبَديَّة، لا يُكدِّرُها خَوْفٌ مِنْ وُقوعِ مَحذور، ولا حُزنٌ على فَواتِ مَطلوب، ولذلكَ قدّم بيانُ اللّٰهِ الخَوْفَ على الحُزنِ[3].

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ نَفْيِ الْخَوْفِ عَلَى نَفْيِ الْحُزْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

الْخَوْفُ أَكْثَرُ وُجُودًا فِي الْوَاقِعِ مِنَ الْحُزْنِ

قُدِّمَ نفيُ الخوفِ على نَفْيِ الحُزْنِ في قوله سُبْحَانه: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ مع أنَّ سببَ الخَوْفِ مُستقبَلٌ، وسببَ الحُزْنِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/166.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/600.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/599.

ماضٍ، فكان مُقْتَضَى التَّرْتِيبِ الزَّمَنِيِّ تقديمَ نفيِ الحُزْنِ على نَفْيِ الخوفِ، والنُّكتةُ في ذلك: مراعاةُ الأكثرِ وُجُودًا؛ فإنَّ الخوفَ مِمَّا هو آتٍ أكثرُ مِنَ الحُزْنِ على ما هو فائتٌ.

دِلَالَةُ تَقَدُّمِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَلَى الْمُسْنَدِ الْفِعْلِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

مِنْ كَمَالِ النَّعِيمِ دَفْعُ الْمُنَغِّصَاتِ

في تقديمِ الضَّميرِ ﴿هُمْ﴾ إشارةٌ إلى القَصْرِ والاختصاصِ، فَفِيهِ: قَصْرُ انتفاءِ الحُزْنِ عَنْهُم، أمَّا غيرُهم فيحزنُونَ، فَإِنْ أُريدَ به عمومُ المسلمينَ فالقصرُ حقيقيٌّ؛ وَإن أُريدَ بمَنْ خَلْفَهُم المُجَاهِدُون في سبيل اللّهِ تعالى؛ كان القصرُ إِضَافيًّا.

ومجيءُ خبر المبتدأ ﴿هُمْ﴾ جملةً فعليَّةً يقتضي تَكرارَ الإسنادِ؛ تأكيدًا لِدَوامِ نفيِ الحُزْنِ عن إخوانهم الذين مِن خَلْفِهم؛ فَقَدْ أُسْنِدَ الحُزْنُ إلى ضَمير الذين مِن بعدِهم (هُمْ) - وهو مِن إسناد الخَبَر إلى المبتدأ -، وأُسْنِدَ الحُزْنُ إلى وَاوِ الْجَمَاعَةِ الرَّاجعة إِلَيْهِمْ، وهو مِن إسناد الفعل إلى فاعِله، فَلَمَّا تكرَّر الإسنادُ تأكَّدَ المَعْنَى وقَوِيَ.

فَائِدَةُ تَكْرَارِ الْفِعْلِ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾:

لَيْسَ لِلْعِبَادِ مَعْرِفَةٌ بِالْغَيْبِ إِلَّا مَا عَلَّمَهُمُ اللهُ تَعَالَى إِيَّاهُ

في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: الضَّميرُ في ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يجوزُ أن يعودَ إلى الّذينَ لم يَلحقُوا بهم؛ فتكونُ الجملةُ حالًا مِنَ الّذين لم يَلحقُوا بهِم؛ أيْ: لا خَوْفٌ عليهم ولا حُزنٌ حالَ كونِهم مُستبشِرِينَ بنعمةِ اللّه تعالى.

ويجُوزُ أنْ تكونَ تَكْرِيرًا لِقَوْلِهِ: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم﴾ والضَّميرُ في ﴿بِهِم﴾ للّذينَ قُتِلُوا في سَبيلِ اللّه تعالَى.

وفائدةُ التَّكريرُ تحقيقُ معنى البِشارةِ؛ كقولِه تعالَى: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ [القصص: 83]، فكرَّرَ فعل (أَغْوَيْنَا)

تحقيقًا لمعنى الغوَايَة اللَّاحقَةِ بِهِمْ، فقدْ زَادَ الفعلُ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ المعْنَى جَلاءً، وأكَّدَهُ في نُفوسِ المتلقِّين للخطابِ القرآنيِّ، ولا سيَّمَا أنَّ الكلامَ عن قَضيّةٍ غَيبيَّةٍ ليس لِلنَّاسِ مَعْرِفَةٌ بِهَا إلَّا ما أَعْلَمَهُم اللّٰهُ تعالى بِهِ.

فالاسْتبشارُ الأوّلُ يُنْبِىءُ عن عَدمِ الخَوْفِ والحُزْن، والاسْتبشارُ الثّاني يَعضُدُ الأوّلَ، ويَزيدُهُ قوَّةً بما يُقارِنُهُ مِنْ نِعمةٍ عظيمةٍ لا يُقَادَرُ قدْرُها، وهي مَزيدُ النِّعمةِ والفَضلِ مِنَ اللّٰه تعالَى[1].

ويجُوزُ أن يكونَ الاستبْشَارُ الأوّلُ مُتعلِّقًا بحالِ إخوانِهم، وهذا بحالِ أنْفُسِهم بيانًا لبعضِ ما أُجْمِلَ في قولِه تعالَى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[2]، ولذَا جَاءَتِ الْجُمْلَةُ مفصولةً عمَّا قبلَهَا؛ لِمَا بَيْنَهُما مِن كَمَالِ الاتِّصَال.

نُكْتَةُ تَنْكِيرِ (نِعْمَةٍ) وَ(فَضْلٍ) وَسِرُّ ذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ:

النَّكِرَةُ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ لَا تَعُمُّ إِلَّا فِي مَقَامِ الِامْتِنَانِ

في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: ﴿بِنِعْمَةٍ﴾: جارٌّ ومجرورٌ متعلّقٌ بـ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾، ولَم يَرِدْ (وفضلٍ من اللّٰهِ) اكتفاءً بورودِهِ من قبلُ.

وأُضيفَتِ النِّعْمَةُ والفضلُ إلى اللّٰهِ تعالى؛ إذْ هُوَ سبحانَهُ وتعالَى خالقُ كلِّ نعمة، ومِنْهُ كلُّ فَضْل، ووردَ كلاهُما نكرةً، ليعُمَّ كلَّ نعمةٍ وكلَّ فضلٍ دونَ حَصْرٍ أو قَصْر، ووَجْهُ العمُوم مع أنَّهما في سياقِ الإثباتِ: أنَّهما واردَانِ في سِيَاقِ الامتِنَانِ، والنَّكرةُ مَعَهَا تَعُمُّ[3].

والبِشارةُ في ذاتِها نعمةٌ من اللّٰهِ وفَضْل، ولذا جاءتِ الباءُ في ﴿بِنِعْمَةٍ﴾ لِتُعْطِيَ هذا المعنَى، معَ التَّوسعةِ في كونِ النِّعمةِ سببًا لحصولِ تلكَ البِشَارة.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/600.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/600.
(3) أحمد العراقي، الغيث الهامع، ص: 292.

وذِكْرُ أحدِ أفرادِ العامِّ بعدَهُ؛ يُميِّزُهُ أكملَ تمييزٍ، ويُلْبسُهُ حُلَّةً أَجْملَ وأَكْمل، ومِنْهُ ذِكْرُ الفَضْلِ بعدَ النِّعمَةِ في قولِهِ تَعالَى: ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾؛ لِتأكيدِ حُصولِها، إذِ النِّعمةُ مِنَ اللّهِ تعالَى عامّةٌ، والفَضلُ مِنْهُ سُبحانَهُ أَحدُ أفرادِها، وقَدْ خُصَّ بالذِّكرِ لمزيدِ العنايَةِ بهِ وإبرازًا لأهَميَّتِه.

والفَضلُ: الزِّيادةُ، فهؤلاءِ الشُّهداءُ معَ ما قدّموهُ مِنْ بَذْلِ أرواحِهِمْ رَخيصةً في سبيلِ اللّه تعالَى، معَ كَونِها أَغْلَى ما يَمْلِكون؛ يُناسِبُه ويُقابلُه الفَضلُ العظيمُ مِنَ اللّه سُبحانَهُ.

تَوْجِيهُ الْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

الْإِيمَانُ هُوَ مَنَاطُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

(إنَّ) من قولِهِ تعالَى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأَها العشَرَةُ إلَّا الْكِسَائِيَّ بفَتْحِ (أنَّ)[1] عَلَى أنَّهَا عَطْفٌ علَى ﴿وَفَضْلٍ﴾، فَهُوَ مُنتظِمٌ مَعَهُ في سِلكِ الْمُسْتَبْشَرِ به.

وَانْفَرَدَ الكسائيُّ بِكَسْرِ الهَمْزَةِ (وَإِنَّ اللّه) عَلَى أنَّهُ كلامٌ مستأنَفٌ، وهوَ تَذْيِيلٌ جَارٍ مَجْرَى المَثَلِ، لاستقلالِهِ بالإفَادةِ وعدَمِ افْتِقَارِه إِلَى مَا قَبْلَهُ في فَهْمِ أصلِ المُرَادِ مِنْهُ، وقد سيقَتْ تأكيدًا لِمَضْمُونِ الجملةِ قبلَهَا وتحقيقًا لإنعامِ اللّه تعالى وإفضالِهِ على أهل الإيمَانِ.

وذُكِرُ المؤمنونَ في قولِه: ﴿أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَأُرِيدَ بِهِم: مَنْ جاءَ السِّياقُ بشَأنِهِم؛ وهُمُ الشُّهداءُ، ففيه مجازٌ مرسَلٌ، علاقتُهُ العموميَّةُ.

والتَّعبيرُ عَنْهُم بوصْفِ الإيمَانِ؛ إيذانٌ بسُمُوِّ رُتبَةِ الإيمَانِ، وكونِهِ مَناطًا لِمَا نَالوهُ مِنَ السّعادة؛ وأمّا كافَّةُ أهلِ الإيمانِ مِنَ الشُّهداءِ وغَيرِهِمْ، فقَدْ ذُكِرتْ تَوْفيةُ أجورِهم على إيمانِهِمْ، وعُدَّتْ مِنْ جُملةِ ما يَسْتَبشِرُ بِهِ الشُّهداءُ بحُكمِ الأُخُوّةِ في الدِّينِ.

(1) ابن خالويه، الحُجّة، ص: 116، والبنَّاء، إتحاف فضلاء البشر، ص: 232.

دِلَالَةُ الْعَطْفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

مِـنْ نِـعَـمِ اللهِ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ الْجَمْعُ لَهُمْ بَيْنَ اللَّذَّاتِ الْـجُـثْـمَـانِـيَّـةِ الْـجُـزْئِـيَّـةِ وَالْمَـسَـرَّاتِ الْعَقْلِيَّةِ الْكُلِّيَّةِ

الْمَقْصُودُ مِنَ العَطفِ - عَلَى وجهِ فَتْحِ الْهَمْزَةِ مِنْ (أَنَّ) - على قولِهِ: ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ يُرادُ به تفخيمُ مَا حصَلَ لهم مِنَ الاسْتبشَارِ، وانْشِرَاحُ الأَنْفُس؛ حيثُ جمعَ اللّٰه تعالَى لَهُمُ المَسرّةَ الجُثمانيَّة الجُزئيَّة، والمَسرَّةَ العقليَّة الكُلِّيَّة.

ذَلِكَ إنَّ إدْرَاكَ الحقائقِ الكُليّةِ لَذّةٌ رُوحَانيَّةٌ عَظِيمَةٌ؛ لِشرفِها وشَرفِ العلمِ بها، وحصولِ المَسرّةِ للنّفسِ مِنَ انكشافِها وإدْراكِها، والمعنَى: اسْتَبْشَروا بأنْ عَلِموا حقيقةً كُليّةً وسِرًّا جليلًا مِن أسْرارِ العلمِ بصفاتِ اللّٰهِ تعالَى وكمالاتِه، الَّتي تَعُمُّ آثارُها أهلَ الكمالِ كُلَّهُم، فتَشمَلُ الّذينَ أَدْركُوها وغيرَهُم.

ولَوْلا هذا المعنَى الجليل، لم يكنْ داعٍ إلى زيادةِ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ إذْ لم يَحصُلْ بزيادتِه زيادةُ نعمةٍ وفَضلٍ للمسْتَبشِرين مِنْ جنسِ النّعمةِ والفضلِ الأوّلَيْن، بَلْ حصَلتْ نعمةٌ وفضلٌ آخَران[1].

نُكْتَةُ الْإِظْهَارِ فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

لَا يَـضِـيـعُ عِـنْـدَ اللهِ تَعَالَى عَمَلٌ صَالِحٌ

في قَوْلِ اللّٰه تعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إظهارٌ في مَوْضِعِ الْإِضْمَار؛ إذْ مقتضَى الظَّاهر أن يَرِدَ النَّظْمُ القُرآنيُّ: (وأنَّه لا يُضيع أجرَ المحسنِينَ)؛ لسَبْقِ التَّصريح بالاسم الأحسن (اللّٰه) في قوله سُبحانَهُ: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾، ونُكْتَةُ الإظهار: بيانُ عظيم مِنَّةِ اللّٰه تعالى على أهل الإيمانِ بإسنَادِ جزائِهم إلى صريحِ اسمِه تعالى دونَ الضَّمير الرَّاجعِ إليه؛ فإنَّ المَقامَ هنا مقامُ إظهارِ عظمتِه ومِنَّتِه ونعمتِه وفضلِه على عبادِه المؤمنين، ومِنْ فضلِه أنّه لا يُضيعُ أجرَ المؤمنين.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/167.

والتَّعبيرُ بالفعل المضارعِ ﴿يُضِيعُ﴾ مسبوقًا بحرفِ النَّفْيِ (لَا) دالٌّ على أنَّ عَدَمَ إضاعتِه سُبحانَهُ لِأجرِهم مُستمرٌّ دائمٌ، والمضارعُ وإن سُبِقَ بنفيٍ يدلُّ على الاستمرَارِ والدَّوامِ بحسبِ المقامِ.

والجملةُ دَالَّةٌ على أنَّ ذلكَ أجرٌ لَهُم على إيمانِهِمْ، مُشْعِرٌ بأنَّ مَنْ لا إيمانَ لهُ أَعْمَالُه مُحْبَطَةٌ، لا أَجْرَ لهُ علَيْها[1].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(حَسِبَ) و(ظَنَّ):

(حَسِبَ): يُقالُ: حَسِبْتُهُ صالحًا بالكَسرِ، أَحْسَبُهُ بالفتحِ والكَسرِ، (مَحْسَبَةً) بكسرِ السِّينِ وفَتحِها، وحِسْباناً بالكسرِ: ظَنَنْتُه، والظَّنُّ: التَّردُّدُ الرَّاجحُ بينَ طَرَفيِّ الاعْتقادِ غيرِ الجازمِ، ومَظِنَّةُ الشَّيْءِ، مَوضِعٌ يُظنُّ فيهِ وُجودُه[2]، وأَصلُ الحِسْبانِ مِنَ الحِسابِ، تَقولُ: أَحْسَبُهُ بالظَّنِّ قدْ ماتَ بفتحِ السِّينِ وكسرِها، كما تقولُ: أَعُدُّه قدْ ماتَ، ثمّ كَثُرَ حتَّى سُمِّيَ الظَّنُّ حِسْباناً على جِهةِ التَّوسُّعِ، وصارَ كالحقيقةِ بَعدَ كَثْرةِ الاستعمالِ، وفُرِّقَ بينَ الفعلِ مِنْهما؛ فيُقالُ في الظَّنِّ حَسِبَ، وفي الحِسابِ حَسَبَ، ولذلكَ فُرِّقَ بين المصدَرَيْنِ، فقيل: حِسْبٌ وحُسْبانٌ. ويَجوزُ أنْ يُقَالَ في الظَّنِّ: قُوَّةُ المعْنَى في النَّفْسِ مِنْ غَيْرِ بُلوغِ حالِ الثِّقةِ الثَّابتة[3].

والَّذي يَظهَرُ، أنَّ بيانَ اللهِ في إيرادِهِ للفعلِ ﴿تَحْسَبَنَّ﴾، على جِهةِ النَّهي؛ إنّما هو مِنْ بابِ التَّوسُّعِ في معنَى الظَّنِّ، الَّذي صارَ كالحقيقَةِ بعدَ كَثْرةِ اسْتعمالِه، فَلا يَتسلَّلُ حِينَئذٍ أيُّ احْتمالٍ يُنافي هذا الظَّنَّ أوْ يُضادُّهُ، في أيِّ جُزئيّةٍ مِنْه، ويمكنُ اسْتعمالُ كلمةِ (حُسْبان) فيما يُدُلُّ على حساباتِ الإنسانِ الضَّيِّقةِ في الحياةِ الدُّنيا المبنيَّةِ على اللَّذاتِ العاجلةِ دونَ الآجِلة، والَّتي تُورِدُه المهالِك، كما قالَ سُبحانَه وتعالَى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الرُّوم: 07].

(1) الزّجّاج، معاني القرآن: 1/505، ومحمد كريّم راجح، القراءات العشر المتواترة، ص: 72.
(2) الرّازي، مختار الصّحاح، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (حَسِبَ) و: (ظَنَّ).
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 43، 303، والكفويّ، الكليّات: 3/62.

(قُتِلوُا) و(ماتُوا):

قَتَلَ، يَقْتُلُ، وبابَه نَصَرَ، (قَتْلاً) و(تَقْتَالاً): أماتَهُ، و(قاتَلَهُ) (قِتالاً) و(قِيتَالاً). و(مَقاتِلُ) الإنسانِ: المواضِعُ الّتي إذا أُصِيبتْ (قَتَلَتْهُ)[1] و(ماتَ)[2]، وقدْ وَرَدَ أنّ القَتلَ هو نَقضُ البنيةِ الحيَوانيَّةِ، ولا يُقالُ لهُ قَتْلٌ في أكثرِ الحالِ إلّا إذا كانَ مِنْ فعْلِ آدميّ، وقال بعضُهم: القَتلُ إماتةُ الحَرَكة، والمَوْتُ: عَرَضٌ أيضًا، يُضَادُّ الحياةَ، ولا يَكونُ إلّا مِنْ فِعْلِ اللّه، والمِيتةُ: الموتُ بعيْنِه إلّا أنّه يَدُلُّ على الحَال، والموتُ يَنفِي الحياةَ معَ سَلامةِ البنْية، ولا بُدّ في القَتْلِ مِنَ انْتقَاصِ البنْيَة[3]، والشُّهداءُ الّذينَ حدَّثَنا عنهُم بيانُ اللّهِ تعالَى؛ قد أصابَهمْ ما أصابَهُمْ مِنَ الجِراحِ في بنْيَتِهم (رضيَ اللّه عنهم وأَرضاهُم)؛ ولذلكَ ناسبَ هذا المعنَى ماوَرَدَ في قولِهِ تَعالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ﴾.

الأَمْوات والمَوْتَى[4]:

(ماتَ) يَمُوتُ، ويَماتُ، ويَميتُ، ضِدُّ حَيٍّ، والجَمعُ: أمواتٌ، ومَوْتى، ومَيّتونَ، ومَيْتونَ، ويَستوِي فيه الذَّكَرُ والأُنثَى. فلفظ (مَوْتَى): جمعُ تَكسيرٍ، مفردُهُ: مَيِّتٌ، بتشديدِ الياءِ معَ كَسرِها، وهي تُستعمَلُ في الدِّلالةِ على مَنْ فارقَتهُ الرُّوحُ، وأيضاً لِمَنْ ستُفارِقُهُ الرُّوحُ؛ فهي كلمةٌ عامَّةٌ، قال تعالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزُّمر: 30]؛ يَعني: ستموتُ، نَزلتْ على رسولِ اللّهِ ﷺ، وهو حَيٌّ. و(مَيْتٌ) بتخفيف الياء، لايُطلَقُ إلّا على مَنْ ماتَ، أمّا (أَمواتٌ): فقد جاءتْ في مُقابَلةِ دِلالةِ أَحْياء؛ فهي مُناسِبةٌ أكثر مِنْ مَوتَى، في مقابلة الأحياء، قال تعالَى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍۖ﴾ [النّحل: 21]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ﴾ [فاطر: 22]، ولفظ (مَوتَى) لم يردْ في مُقابَلةِ الأَحْياء، والسِّياقاتُ القُرآنيَّةُ حَدّدتْ معناهُ في الموتِ الحَقيقيّ، ومُفارقةِ الرُّوحِ البَدَنَ، ولعلَّ فيه مبالغةً أكثرَ ممَّا في الجَمعِ (أَمْوات)، فقدْ جاءتْ (أمواتٌ) في مقابَلَةِ دِلالةٍ واتّساقٍ صَوْتيٍّ وحَرْفيٍّ معَ كلمةِ (أَحياء) ولم تردْ كلمةُ (مَوتَى) كذلكَ، وإنّما اقْترنتْ كلمةُ (مَوتَى) معَ الفعلِ المضَارِعِ (نُحْيي) أو (يُحْيي)؛ كَما قالَ ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [يس: 12]. وقالَ سُبحانهُ: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ

(1) الرّازي، مختار الصّحاح، والفيروزآباديّ، القاموس المحيط: (قَتَلَ) و: (مَوَتَ).
(2) سيأتي تفصيلها في الفقرة التّالية.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 420.
(4) الرّاغب، المفردات، ص: 781، والعسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 525.

﴿يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الشّورى: 9]. ولعلَّ في إيرادِ البيانِ الإلهيِّ لكلمةِ ﴿أَمۡوَٰتَۢاۚ﴾ بدلَ (مَوتى)، في هذا السِّياقِ القرآنيِّ بالذّاتِ، تأكيداً للأَحياءِ الَّذينَ لم تُفارقْ أرواحُهمْ أجسادَهم، وما زالُوا على قَيْدِ الحَياةِ، أنَّ هؤلاءِ الشُّهداءَ، وإنْ كنتُم تَرَوْنهمْ أمْواتاً؛ أيْ: أجْسادًا بلا أرواحٍ؛ فإنَّهم عندَ اللّهِ هُمُ الأحْياءُ الحقيقيُّون، بسببِ سَخائهِمْ في إزْهاقِ أرواحِهمْ في سبيلِ اللّه، دِفاعًا عن دِينِ اللّه، وإعلاءِ كَلمته، ورَفْعِ رايته، ولذلكَ اسْتحقُّواْ أنْ يَكونُواْ أحياءً عندَ ربِّهم، يتنعّمونَ ويَتمتَّعونَ ويُرزَقون، وبهذا جاءَ بيانُ اللّهِ بقولهِ تعالَى: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾، وفي هذا العَرْضِ القُرآنيِّ تَحفيزٌ شَديدٌ، ودَفْعٌ رَشيدٌ، لِلجِهادِ في سَبيلِ اللّه، والفَوْزِ بالشَّهادةِ في سبيلهِ (ﷺ).

الرِّزق والنِّعمة واللَّذَة:

(الرّزقُ): ما يُنْتَفَعُ بهِ، وأيضاً العَطاءُ، رَزَقه اللّهُ يَرْزُقُه بالضّم رِزقًا، يُقالُ: رَزَقَ اللّهُ الخلْقَ رِزْقًا بكسرِ الرَّاء، والمصْدرُ الحَقيقيُّ رَزْقًا، والاسمُ يُوضَعُ مَوْضِعَ المَصْدر. و(النِّعمةُ): مِنْ نَعِمَ كسَمِعَ، ونَصَرَ، وضَرَبَ؛ أيْ: يَنْعَمُ، ويَنْعُمُ، ويَنْعِمُ. والتّنعُّمُ: التَّرفُّهُ، والاسْمُ: النَّعمَةُ، بالفَتحِ، والنَّعيمُ والنُّعْمَى بالضّمّ: الخَفْضُ، والدَّعَةُ، والمالُ كالنِّعمةِ بالكسرِ، وجَمعُها: نِعَمٌ وأنْعُمٌ، و(اللّذَّةُ): نقيضُ الأَلَم، الجَمعُ: لَذّاتٌ، يَتعدَّى، وهوَ مِنْ بابِ فَرِحَ، لَذَّ، يَلَذُّ[1]، والرِّزقُ: هو العَطاءُ الجَاري في الحُكمِ على الإدرَارِ؛ ولهذا يُقالُ: أرزاقُ الجُندِ؛ لأنّها تَجري على إدْرارٍ، وهو اسْمٌ لما يَملِكُ صاحبُهُ الانْتفاعَ به، فلا يَجوزُ مُنازَعتُه فيه لِكونهِ حَلالًا له، واللَّذَّةُ لا تكونُ إلّا مُشْتَهاةً، ويَجوزُ أنْ تَكونَ نِعمة لا تُشْتهَى؛ كالتَّكليف، وإنّما صارَ التّكليفُ نِعمةً، لأنَّهُ تَعَوَّدَ عليها بمَنافعَ ومَلاذَّ، وإنَّما سُمِّيَ ذلكَ نعمة؛ لأنّه سببٌ للنِّعمة، والنِّعمةُ لا تكونُ إلَّا حَسَنة[2]، ومِنْ خلالِ ما تقدّمَ مِنْ تَفصيلٍ لتلكَ المُفرَدات؛ نجدُ أنَّ بَيانَ اللّهِ تعالَى، ذَكرَ الفعلَ (يُرزَقونَ)، وهو يُفيدُ الدّيمومَةَ والاسْتمرار، وهذا هو المناسِبُ لِمَقامِ الشُّهداءِ الَّذينَ اصْطَفاهُمُ اللّهُ للشّهادةِ في سبيلِه، فَرِزْقُ اللّهِ لهمْ نَبْعٌ لا يَنضُبُ مَعينُه، بهِ يَتنعَّمونَ ويَتلذّذون، لا يُنازعُهمْ فيهِ أَحدٌ؛ لأنّهُ حُظْوَةٌ خاصّةٌ بهمْ مِنَ اللّه.

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 765، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (رَزَقَ) و: (نَعِمَ) و: (لَذَذَ).
(2) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 54، 63، والكفويّ، الكُلّيّات: 4/184.

(فَرِحَ) و(سُرَّ):

(الفَرَحُ): انْشِراحُ الصَّدرِ بلَذّةٍ عاجلة، وأكثرُ ما يَكونُ في اللَّذاتِ البَدنيّةِ الدُّنيويَّة، كما قال تعالَى: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الحديد: 23]، ولم يُرخَّص في الفَرحِ إلّا في قولِه تعالَى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يونس: 58]، وقولِه سُبحانَه: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الرّوم: 4 - 5]، وأمّا (السُّرورُ): فهو ما ينْكَتِمُ مِنَ الفَرحِ، قالَ ﷻ: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝١١﴾ [الإنسان: 11]، وقالَ سُبحانَه وتعالَى: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ۝٦٩﴾ [البقرة: 69][1].

والفَرَحُ الّذي هو حالُ الشُّهداءِ عندَ مُلاقاةِ ربِّهم، وحِيازتِهمْ لفَضلِه بانْشراحِ صُدورِهم، وتَنعُّمِهم بما أفاضَهُ اللّهُ عليهم مِنْ رِزقِ الجَنَّةِ ولَذائذِها، لم يكنْ أمرًا مَكتومًا؛ بلْ كانَ تَمكينًا، نَقلَهُ لنا بَيانُ اللّهِ بقولِه تعالَى: ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم﴾، وقولِه سُبحانَه: ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾.

خَلْف ووَراء:

لفظُ (خَلْف): ضِدُّ القُدّام، قالَ تعالَى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ [البقرة: 255]، وقالَ تعالَى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ [الرّعد: 11][2]، (وراءَ): إذا قيلَ: وراءَ زَيْدٍ كذا، فإنَّه يُقالُ لِمَنْ خَلْفَه، نحوُ قولِه تعالَى: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ۝٧١﴾ [هود: 71]، وقولِه سُبحانَه: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾ [الحديد: 13]، ويُقالُ لِمَا كان قُدّامَه، نحوُ قولِه ﷻ: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ﴾ [الكهف: 79]، وقولِه تعالَى: ﴿أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۚ﴾ [الحشر: 14]؛ فإنّ ذلك يُقالُ في أيّ جانبٍ مِنَ الجِدارِ، فهو وراءَهُ باعتبارِ الّذي في الجانبِ الآخَر، وقولُهُ تعالَى: ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ﴾ [الأنعام: 94]؛ أيْ: خَلَّفْتُموهُ بعدَ مَوتِكم[3]، وهذه المعاني لكلمةِ (وراءَ) وكثيرٌ غيرُها، لا نجدُها تَفي بالغَرَضِ المُرادِ في سِياقِ حديثِ القُرآنِ عنِ الشُّهداءِ، الّذينَ يَستبشرونَ بالّذينَ لم يَلحقُوا بهمْ بَعْدَ انْتقالِهمْ مِنْ دارِ الفَناءِ إلى دارِ البَقاءِ، مُعزّزينَ مُكرّمينَ مُنَعّمينَ مِنْ ربّهمْ سُبحانَهُ وتعالَى؛ بَلْ لا يُعطِي هذا المعْنَى المُرادَ إلّا قولُهُ تعالَى: ﴿مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾، وهذا من بلاغة القرآن الأثيرة، وانفساح ألفاظه على المعاني الغزيرة.

---

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 128، وص: 404 - 405، والعسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 77.

(2) المفردات، ص: 93، والرّازي، مختار الصّحاح: (خَلَفَ).

(3) الراغب، المفردات، ص: 66، والرّازي، مختار الصّحاح: (وَرَى).

الخَوْف والخَشْيَة:

(الخَشْيَةُ): أعلَى مَرتبةً مِنَ الخَوْفِ، وهي أشَدُّ الخَوْف، فإنّها مَأخوذَةٌ مِنْ قَولِ العَرَبِ: (شَجَرةٌ خَاشيةٌ) إذا كانتْ يابِسةً، وذلكَ فَواتٌ بالكلّيّة، فهي ميّتةٌ، والخَوْفُ مِنْ قولِهمْ: (ناقةٌ خَوْفاءُ)، إذا كانتْ مَريضةً بها داءٌ، وهذا نَقْصٌ وضَعْفٌ، وليس بِفَوات، والخَشيةُ: خَوْفٌ مَشُوبٌ بتَعظيم المَخْشِيِّ، صادرٌ عن علم ويَقينٍ صادِق، ومَعرفَةٍ بعَظَمته، حتّى وإنْ كانَ الخَاشِي قَويًّا[1]؛ ولذلكَ خُصَّ العلماءُ بالخَشيَةِ في قوله تعالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّـهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]، أمّا الخَوْفُ: فإنّهُ تَوقُّعُ مَكروهٍ عَن أَمَارةٍ مَظنونَة، أوْ مَعلومَة، فإذا تُيُقّنَ الضَّرَرُ، لم يكنْ خائفًا مِنْ وُقوعه[2]، والخَوْفُ يكونُ غالبًا مِنْ ضَعْفِ الخَائف، وإنْ كانَ المُخوَّفُ أمرًا يَسيرًا، كما قدْ يكونُ عَنْ تَسلُّطٍ بالقَهرِ والإرْهاب؛ كما قالَ تعالَى: ﴿يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النّمل: 10][3]، وممّا سَبق نَجدُ أنَّ الّذينَ نَالُوا الشَّهادَةَ في سَبيلِ اللّه، نَالُوا معَها بِشاراتٍ عظيمَةً عَديدةً مِنَ اللّه، سَطَّرَها بيانُ اللّه، واللّهُ أصدَقُ القائلينَ، ومِنْ هذهِ البِشاراتِ أنَّهُ لا يَمَسُّهمْ أيُّ مَكروه، أوْ تَوقُّعُ مَكروه، سَواءٌ أكانَ مَظْنونًا أمْ مَعلومًا؛ فَهُمْ في أَمْنٍ وأَمانٍ مِنَ اللّه، فكَيفَ يَتسلّلُ الخَوْفُ إلى قُلوبهِمْ، والمَقامُ مَقامُ يَقينٍ باللّه، واطْمئنانٍ برحمَةِ اللّه، فَلا يُمكِنُ أنْ يَكونَ معهُ أيُّ خَوْفٍ أوْ حُزْن.

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 283، والعسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 217 - 218، والزَّملكانّي، البرهان الكاشف، ص: 91.
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 303، والعسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 235.
(3) الزّركشيُّ، البرهان: 4/78 - 79.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»